

الأخر/أنا، نحن/هم... أبجديات الحداثة

د. جمال التركيبي - الطب النفسي / تونس

turky.jamel@gnet.tn

لا تعني الحداثة رفض التراث، ولا القطيعة مع الماضي، بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل معه إلى مستوى «المعاصرة»، أي مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي. إن الحداثة تبحث عن مصداقية أطروحاتها في خطاب «المعاصرة» وليس خطاب «الأصالة» الذي يُعنى بالدعوة إلى التمسك بالأصول واستلهاها، لكن الحداثة في الفكر العربي المعاصر لم ترتفع إلى هذا المستوى، فهي تستوحى أطروحاتها من الحداثة الأوروبية وتطلب المصداقية لخطابها من أصولها. حتى إذا سلمنا بأن الحداثة الأوروبية تمثل حداثة «عالمية» فإن انتظامها في التاريخ الثقافي الأوروبي، ولو على شكل التمرد عليه، يجعلها حداثة لا تستطيع الدخول في حوار نقدي مع معطيات الثقافة العربية لكونها لا تنتظم في تاريخها. فهي لا تستطيع أن تحاورها حوارًا يحرك فيها الحركة من داخلها، إنما تصادمها من خارجها مما يجعل رد الفعل هو الانغلاق والنكوص. إن طريق الحداثة عندنا يجب أن ينطلق من الفهم النقدي للثقافة العربية بهدف تحريك التغيير فيها من الداخل، لذلك كانت الحداثة تعني حداثة المنهج وحداثة الرؤية، والمصدف: تحرير تصورنا لـ «التراث» من البطانة الأيدولوجية والوحدانية التي تصفي عليه، داخل وعينا، طابع العام والمطلق وتنتزع عنه طابع النسبية والتاريخية. إن خصوصية الحداثة عندنا في أن تكون بحق "حداثة عربية".

مقتبس عن " التراث والحداثة " / د. محمد حامد الجابري

لموقفه حدائني منه لا يساهم إلا في عزلها أولاً وبالغائها لاحقاً خاصة وأن الآخر هو الطرف الفاعل في حضارة اليوم فهو الأقوى علمياً / اقتصادياً / عسكرياً / سياسياً...

إن من أبجديات الانخراط في حداثة عصرنا الراهن ضرورة إيجاد مساحة للآخر في وعيي وقبوله كمتلهم لا يمدد وجودي، أنا في حاجة إليه كحاجته إلي (وإن اختلفت الدوافع) للتحفيز والإثراء، محتمة علي التعاون معه في سبيل تحقيق نهضة تتجاوز الإنسان في محيطه الإقليمي الضيق إلى الإنسان في محيطه الكوني.

في ملف هذا العدد نقدم النصوص الضالمة لبعض أبحاث المؤتمر العالمي، نستلها بورقة كل من عادل زايد وعادل سرور (الكويت) حول "الوصف الديموغرافي والمرضي للأشخاص المراجعين بمستشفى الطب النفسي في الكويت لسنة 2002" خلافاً فيه إلى أن 36.6% من المعايدين يعانون اضطرابات مزاجية، 12% اضطرابات قلقية، 10.1% من اضطرابات فصامية و 7.9% اضطرابات ذهانية حادة. كما نقدم ورقة كل من ناهدة العرجاء وتيسير عبد الله (فلسطين) حول "قلق الموت عند الفلسطينيين خلال انتفاضة الأقصى"، خلصتا فيما إلى ارتفاع مؤشر قلق الموت عند المرأة مقارنة بالرجل وإلى تدني هذا المؤشر عند المتدينين. كما قدم وائل أبو هندي (مصر) وزملاؤه

الملف: أبحاث من المؤتمر العالمي

بهذا العدد الثامن من الإصدار نختتم السنة الثانية من عمر المجلة الإلكترونية، وهي فترة قصيرة للتقييم أو الحكم، لكن المؤشرات الأولية تدل أنها تبوّأت مكانة محترمة بين الدوريات النفسية العربية فقد استطاعت التميز من عدد إلى آخر والمحافظة على انتظام صدورها رغم المعوقات، وساهم تخصيص كل عدد بملف حول موضوع محدد في إثراء المجلة، وجاء ملف هذا العدد محتويًا بعض الأبحاث الطبفسية التي شارك بها الزملاء العرب في المؤتمر العالمي الثالث عشر للطب النفسي (مصر، القاهرة سبتمبر 2005) والذي شهد طفرة نوعية وكمية على مستوى المشاركة العربية، حيث ساهم انعقاد المؤتمر في بلد عربي بقسط وافر في هذه الطفرة. إننا نؤمن هذه المشاركة خطوة هامة في سبيل تحقيق نهضة علمفسية والانخراط في حداثة نعدنا قدرًا لا خيار لنا فيها تجاوزنا لواقع علمي متخلف وإحداث نقلة تحررنا من الاعتمادية والانكفاء على ذات نرجسية متضخمة، منكرة الآخر أو ممسحة له وإن احترفت به، إلى استقلالية منفتحة على المختلف معترفة به طرفًا فاعلاً، متفاعلة معه تفاعلاً إيجابياً معززا لكيانها وتحير مصد لوجودها، إن الاعتقاد في إلغاء المختلف حماية للذات من خطر يهدد كيانها يؤسس

من التعرف على مشكلات التلاميذ الدراسية. ويأتي البحث الثالث في هذا الباب من فلسطين لزياد بركات "من المسؤول عن تعليم القيم للشباب" أكد فيه على أهمية كل من الأسرة، المدرسة والمسجد في تعليم الشباب منظومة القيم المتمثلة أساساً في: النظام، الترتيب، النظافة، الاستقلالية، الطاعة، الاحترام، سعة الخيال والإبداع، الحداثة والتطور والمعاصرة، التحرر، حب الاستطلاع، استقاء المعرفة، الخشية ومحافة الله، التسامح، العفو، المسالمة وعدم الاعتداء.... مقدماً في نهاية البحث توصيات، أهمها: ضرورة تفعيل التربية الدينية، تقديم الآباء نماذج من السلوك المادون، الاستماع والانتباه الجيد للأبناء، بناء علاقات سليمة وواضحة بين الوالدين، تشريك الأبناء في القيام بأدوار اجتماعية تتمثل فيها القيم والمبادئ الأخلاقية. ومن لبنان قدم لنا عدنان حبه الله قراءة نفسية لأحداث العنف الأخيرة التي مرتض ضواحي المدن الفرنسية والتي طالت شريحة اجتماعية متفجرة متمثلة في مجموعة أئمة من المهاجرين المغاربة، في مقالته "العنف المتفجر والخطر على الديمقراطية"، بين فيها كيف أن هؤلاء المهاجرين وجدوا أنفسهم منفيين من بلادهم ومنفيين في المجتمع الفرنسي ولم يكن أمامهم لكي يحافظوا على وجودهم إلا التمسك بالصورة الأولى والتعصب لها وإحياء التراث الذي كانوا قد تنازلوا عنه طمعا في الاندماج. موضحاً أن ما حصل في فرنسا ليس محبباً ولا محشواً فشموليته تخضع لعوامل مشتركة تجمعت وأدت إلى تنسيق غير منتظر، هذا التطور المتأزم نتيجة نمو مستمر منذ ثلاثة أجيال، استعاد فيه الجيل الثالث مكبوتات الجيل الأول وأخرج إلى العلن ما كان في الخفاء، وعندما أصبح الدين هوية تناهض الصورة الوطنية ظهرت الأزمة بأشكالها المتعددة. كما نعرض في هذا الباب بحثاً آخر ليحيى الرخاوي (مصر) "عن حبه الخوف وتسلط البحر" بين فيه أن الخوف حق مشروع من حقوق الإنسان وعلينا أن نتساءل كيف نتعامل مع هذه المشروعية بمسؤولية حذرة وكيف نخاف لنزداد يقظة وحرصاً. بدءاً علينا أن نعتبره به انفعالاً طبيعياً بل ضرورياً إذا حقق وظيفته التحذيرية، ثم الدافعية، بالتنبيه والانتباه والفهم فالاستعداد للمجول، عندها يكون جديراً بموقعه التطوري الضروري... أما إذا تجاوز هذا فيصبح ظاهرة مرضية في حاجة إلى علاج. في خاتمة هذا الباب نعرض بحث كل من سليم عنابي (تونس) وزملانه حول "المفهوم العربي الإسلامي لنهاية الحياة" ونعمان الغرابية (أمريكا) حول "إيجابيات وسلبيات التدابي بمضادات الحآبة دون وصفة طبية" بأن يسمع للمريض الحصول على هذه الأدوية مباشرة من الصيدلي شأن جديد الأدوية المسموح بها. قبل نهاية هذا الباب نعرض لقراءات جديد المقالات الموجزة: "نغور من الامتخار وقبول بالانصار وتقديس للعنف"، "ترميم وتقوية الأنا"، "تمثالا بوذا والأبناء المعاصرة"، "جان برجوري: التنظيمات السيوسوماتية"، "نجاح المؤتمر العالمي للطب النفسي"، "المقاربة الثقافية لمعالجة السمنة بعيداً عن الأدوية" و"أسامة الراضي: الأب المؤسس

بعثاً ميدانياً عن "دراسة نسبة حالات الطوارئ النفسية في جامعة الزقازيق" بينوا فيها أن نسبة المترددين لأسباب نفسية تمثل 1.71% من مجموع المعالدين إلى قسم الطوارئ تم إيواء 35.5% منهم بالقسم الداخلي للطب النفسي وتمثلت الاضطرابات الأكثر شيوعاً في المستقبيا التحولية، الاضطرابات الوجدانية، اضطرابات القسام واضطرابات القلق، مؤكدين أهمية تحسين الظروف المعيشية وزيادة التوعية بالأمراض النفسية لمقاومة وصمة المرض النفسي في مجتمعاتنا. كما نعرض بحث ماجدة شعور وزملاءها (تونس) حول "التوافق الزوجي والصحة النفسية للمرأة" وأثر الخلافات الزوجية على نفسيتهما، خلصوا فيه إلى ارتفاع نسبة الشكاوي الجسدية والأعراض الأكتئابية والقلق عند المرأة التي تعاني خلافات زوجية. كما نعرض النص الضامل بنسخته العربية والإنكليزية لورقة لطفى الشربيني (مصر) حول "متلازمة الزوجة الأولى في الزواج المتعدد" عرض فيها بشكل مفصل للأعراض النفسية التي تتعرض لها الزوجة الأولى من خلال رصد المراحل التي تمر بها بداية من الرض والاحتجاج إلى الاستسلام للوضع الجديد (في مدة زمنية محددة) و المتمثلة أساساً في الشكاوي الجسدية واضطرابات القلق التي تفوق اضطرابات الوجدان وسوء التوافق.

أبحاث ومقالات أصلية

نستمل باب أبحاث ومقالات أصلية بالجزء الثاني من دراسة حول "الإنسان، العبه والحياة... الجسد" ليحيى الرخاوي (مصر) بين فيها أهمية الموقف التوجسي المبدئي الذي تبدأ به حياة البشر، حيث يكون حضور الآخر في وعي الإنسان ضرورة لمواجهة بداية الطريق، فالآخر لا يكون آخراً إلا إذا كان كياناً مستقلاً عن ذاتي الأمر الذي نزع أننا نمارسه حين نتكلم عن العبه وعن قبول الآخر وعن الثقة، في حين لا نعمل علاقة إلا باحتياجاتنا نحن، وإسقاطاتنا نحن. إن حضور الآخر في وعينا يكون بداية باعتباره خطراً يهدد وجودنا، بمعنى أنه قد يسحقنا فيلغى وجودنا لحسابه، أو قد نلتهمه نحن احتياجاً أو خوفاً، فنلغى وجوده (وفي نفس الوقت نحرر أنفسنا منه) ومن هنا يضطرب الجدل، إن هذا النوع من العلاقة الذي يعلن أن وجود الآخر هو الخطر بعينه مرحلي، لأنها مرحلة لا تدوم وإن كانت تكمن جاهزة للتنشيط، نستدعيها كلما احتجنا إليها، وأحياناً تقنم الوعي بعنف، في شكل مرضي. كما شاركنا بشير معمريه (الجزائر) ببحث عن "صعوبات التعلم الأكاديمية" مقدماً في نهاية دراسته الميدانية جملة من التوصيات للحد من هذه المشكلة (الاضطرابية) أهمها: إجراء دراسات مسحية للتعرف على الحجم الحقيقي لها، الاهتمام بتشخيص هذا الاضطراب وعلاجه فور اكتشافه، توفير أخصائيين للتشخيص والعلاج، تزويد المربين والمعلمين بمعلومات عن صعوبات التعلم إضافة إلى تعاون الأسرة والمدرسة والحد من احتفاظ الأقسام للتعلم

للطب النفسي المعودي". وجاءت هذه المقالات بالتوالي لكل من: قديري حنفي (مصر)، خليل فاضل (مصر)، يحيى الرخاوي (مصر)، سهام بالعارف (الجزائر)، جون مريش وفاروق السنديوني (مصر).

مراجعة أطروحات

في هذا الباب نعرض ملخص أطروحة داليا مصطفى (إشرافه سينتيا نلسن- الجامعة الأمريكية بالقاهرة)، تناولت فيما "العوامل الاجتماعية والثقافية للانصراف النفسي عند المرأة المصرية اليوم" خلصت إلى تنوع الشدائد النفسية والضغوطات التي تتعرض لها المرأة وإلى إصابتها مبكراً بالاضطرابات النفسية لكن لجوعها إلى المداوات الطبنفسية أو العلاج النفسي يتأخر عادة لأسباب متنوعة أهمها الخوف من وصمة المرض النفسي، طول فترة العلاج والآثار الإيجابية للأدوية، وفي سلسلة عرضها لعديد الاضطرابات التي تتعرض لها المرأة تخصص وصفاً مفصلاً لـ "متلازمة الثانوية العامة"، و"القلق السابق للزواج" مركزة على العوامل المحيطة بالاضطراب النفسي شأن الضغوطات العائلية، عدم التوازن بين الجنسين، الصراع بين العادات والتقاليد، الصعوبات الأكاديمية، العزلة والقمع الفكري، إضافة إلى عوامل أخرى سياسية، اقتصادية وثقافية. لتخلص في نهاية بحثها إلى عدد التوصيات لرفع مستوى الرعاية النفسية للمرأة وتجنبها الاضطرابات وصولاً بها إلى صحة نفسية سليمة.

مراجعة كتب

نعرض في هذا الباب كتابه سوسن شاكر الجليبي (العراق) "أساسيات بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية" من خلال تعريفه موجز بأهم فصول الكتاب الذي يهدف إلى تقديم الخطوات الأساسية من كيفية بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية لاستخدامها في الحقل العملي.

كما نقدم تعريفاً لكتاب كل من نعيان الخياط (المغرب) وآلان قوسو (فرنسا) "الطب النفسي، الثقافة والسياسة" تناولاً بالبحث العلاقة المتداخلة بين سلطات ثلاث: سلطة الثقافة، سلطة السياسة وسلطة العلم في زمن تميز بما سمي صراخ الحضارات أو الثقافات أو ما أرادوه أن يكون كذلك وبسيطرة كاسحة للفكر الغربي. وكان الدافع الأساسي لهذا الكتاب ما يشعر به كل واحد منّا من ثورة داخلية إزاء تحديث المظاهر السائدة: لماذا الجنون، لماذا الفقيد، لماذا المعاناة، لماذا تقصير حياة البعض، لماذا ليس من حق البعض أن ينعم بحياة مطمئنة... عسى أن يجد القارئ لهذا الكتاب بعضاً من إجابات.

أبواب أخرى

في مراجعة مجلة نقدم ملخصات العدد الثالث والستون من "الثقافة النفسية"

المتخصصة" (لبنان) الذي جاء موضوع ملفنا حول "المجرة وأمراضها النفسية" لسليم عنابي وزملائه (تونس). وهي باب المؤتمرات النفسية نقدم برامج المؤتمرات التالية: المؤتمر السنوي الثاني عشر للإرشاد النفسي (القاهرة، ديسمبر 2005)، الملتقى الثاني لطب نفس الطفل والمراهق (تونس، أبريل 2006)، المؤتمر الفرنسي المغربي 24 للطب النفسي حول الاضطرابات الثنائية (باريس، نوفمبر 2005) مع عرض أجنحة المؤتمرات الدولية للثلاثية الأولى من سنة 2006 وأجنحة مؤتمرات الجمعية العالمية للطب النفسي. أما باب وثائق العلوم النفسية نعرض لـ "مشروع ممارسة العلاج النفسي في لبنان" الذي قدم فيه عدنان حبه الله عرضاً لواقع العلاج النفسي في لبنان والبرنامج المستقبلي المتمثل في تأسيس التكوين الأكاديمي للتحليل النفسي وتنظيم مهنة العلاج النفسي في لبنان. كما نقدم وثيقة لأحمد عكاشة (مصر) عن "الميثاق العربي لحقوق الإنسان" (مصر).

وهي خاتمة العدد نعرض لأبواب القارة: انطباعات الأطباء وأستاذة علم النفس، جوائز نفسية وعالمية (جائزة ابن رشد للفكر الحر لسنة 2005)، مستجدات الطب النفسي (ملخصات ورفقات الأطباء النفسيين العرب في المؤتمر العالمي للطب النفسي- الجزء الثاني)، والمعجم النفسي (ترجمة من وإلى العربية - الإنكليزية- الفرنسية، الإنكليزية - الفرنسية، العربية، الفرنسية- الإنكليزية - العربية) لبقية المرحف "أ" من المعجم العربي، المرحف "B" من المعجم الإنكليزي و من المعجم الفرنسي المرحف "C".

قبل الختام

ونحن نودع سنة 2005 افتقدنا علمين من أعلام الطب النفسي العربي، الأستاذ الدكتور أسامة الراضي (السعودية) والأستاذ الدكتور محمد غربال (تونس)، يعتبر البروفسور الراضي أبرز مؤسسي الطب النفسي السعودي وأول من أرسى قواعد الاختصاص في بلده، تخرج على يديه نخبة من أبرز الأطباء النفسيين السعوديين، حمل هم الإسلام والمسلمين وعمل جاهداً على إبراز الخصائص المميزة للعلاج النفسي الديني، وما لهدى الإسلام وتعاليمه من دور فعال في الحماية من بعض الاضطرابات النفسية أو خفض أعراضها، في حين كان الأستاذ غربال في تونس من أوائل الأطباء الذين سعوا إلى تأسيس المدرسة التحليلية النفسية إلى جانب مساهمته الفعالة في تكوين الجيل الأول من الأطباء النفسيين التونسيين. لقد كان كل من الراضي وغربال من أبرز وجوه الاختصاص في الوطن العربي، أثرى كل واحد منهما الطب النفسي في بلده بطريقته الخاصة، ومساهمة في تكريمهما أدعو زملائي العرب مشاركتنا جمع أعمالهم العلمية ونشرها مستقبلاً في المجلة الإلكترونية للشبكة علنا نساهم ولو بجزء يسير في إيفاء بعض من حقهمة علينا. رحم الله الفقيد رحمة واسعة آمليين أن يواصل الخلف رسالة السلف والسير على هدى دربهم رفعة للعلوم النفسية في أوطاننا.

...وعلى السلام